

الشروح الإسلامية للمقولات الأرسطية

محمد حيدر

الكلمات المفتاحية: أرسطو، مبحث المقولات، الفلسفة الإسلامية، الفلاسفة المسلمين، صيغ المحمولات.

مقدمة

يعتبر هذا المقال محاولة لإعادة النظر في مبحث المقولات عند الفلاسفة المسلمين.

سنبدأ بالحديث أولاً عن تاريخ مختصر للنقول والشروح العربية وغيرها، ثم ننتقل إلى الحديث عن ترجمة المصطلح من اليونانية إلى العربية، وعن صحّة ذلك، مقترحين ترجمة جديدة تراعي المعاني الأولى للمصطلح، ثمّ ستشمل الدراسة نقد صيغ المقولات وتعريفها عند الفلاسفة، وسيتمّ اقتراح صيغ جديدة لها، تراعي ما نراه أقرب إلى التعبير عن حقيقة المقولات، فهي: "معان كونيّة نحملها على أشياء الوجود"، وأثناء الحديث عن التعاريف استنبطنا الأبعاد التي اعتبروها في تعريفاتهم، وهي البعد المعنوي، والبعد الكوني، والبعد العرضي، والبعد الشئني. وقد فاضلنا بين هذه الأبعاد وجعلنا البعد المعنوي البعد الحقيقي للمقولات، فهي معان قبل أن تكون أكوأناً أو أعراضاً. وأضفنا بعداً آخر، هو البعد اللغوي، وهو الذي به نتذكّر أنّ المحمولات لا بدّ أن تصاغ داخل لغة معيّنة.

وفي الأخير خلصنا إلى نتيجة بحقيقة المقولات، وهي أنّها ليست كليّة، إلّا أن تكون هذه الكليّة مضافة إلى عالم من عوالم الفلسفة الممكنة.

1- تاريخ شروح المقولات

تُرجمت أهمّ كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية، وضمنها ترجم كتاب المقولات. وقد صاحب الفهرست وهو "ابن النديم" أنّ ناقل الكتاب إلى العربية هو "خنين بن إسحاق"⁽¹⁾، وفصّل صاحب كشف الظنون بتنبهه على أنّ النقل كان من الروميّة⁽²⁾، وقد سبق للروم⁽³⁾ أن ترجموا المقولات الأرسطية من اليونانية إلى

(1) ابن النديم، الفهرست، الصفحة 309.

(2) أي اللاتينية، انظر كشف الظنون 1810/2.

لغتهم، قام بويس Boèce بذلك في (ق 6) الميلاديّ، وقد صنع له شرحًا، واعتمد متكلمو القرون الوسطى وفلاسفتهم على شرحين هما: شرح بويس هذا، وشرح أبيلار Abèlard، عن مصير الكتاب عندهم. وقد سبق أن شرح اليونان الكتاب وتعدّدت الشروحات، وقد ذكر سمبليسيوس Simplicius بعض أسماء الشراح: تامسطيوس، وفورفوريوس، والإسكندر الأفروديسي، وهيرمينوس، وماكسيم، وبويطوس، ونسيوس، ونيكوسترات، وجامبليك، وديكسيب⁽⁴⁾، ونبّه على غاياتهم من تلك الشروح، فمنهم من قصد الشرح والاختصار، والبعض الاعتراض، والبعض الآخر اقتراح الجديد كما فعل أفلوطين، ولا ننسى شرح سمبليسيوس. وقد ذكر صاحب الفهرست أسماء أخرى يونانية وروميّة منها ما ذكرناه فوق، قال: "فمّن شرحه وفسّره فرفوربوس، اصطفن الإسكندري، اللينس، يحيى النحوي، أمونيوس، تامسطيوس، ثاوفرستس، سنبليقوس ولرجل يعرف بثاون سرياني وعربي... ومن غريب التفاسير قطعة تضاف لإمليخس، قال الشيخ أبو زكرياء: يوشك أن يكون هذا منحولًا إلى أمليخس"⁽⁵⁾.

وفي العهد الإسلاميّ، قامت جماعة أخرى من الفلاسفة بشرح الكتاب أو اختصاره، قال صاحب الفهرست: "ومّن فسّر هذا الكتاب: أبو نصر الفارابي، وأبو بشر متى، ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجّرة وغير مشجّرة، لجماعة منهم ابن المقفّع، بن بھريز الكندي، إسحاق بن حنين، أحمد بن الطيّب الرازي"⁽⁶⁾. ومّمّن شرحه من الفلاسفة كذلك: ابن سينا، وابن رشد، ولا يخفى أنّ المقولات أصبحت

(3) سنستعمل اللفظ القديم للدلالة على ما يُطلق عليه أحيانًا اللاتين.

(4) أسماءهم بالفرنسيّة كالتالي:

Thémistius, Porphyre, Alexandre d'aphrodise, Herminos, Maxime, Boèthose, Lucius, Nicostrate, Jamblique, Dexippe.

انظر،

Commentaire sur les catégories les pages (3,4,5,6,7,8).

(5) ابن النديم، الفهرست، الصفحة 309.

(6) مصدر سابق، الصفحة نفسها.

موضوعًا من موضوعات علم الكلام المتأخّر؛ فقد تمّ دمج الحديث عنها وشرحها وتعريفها منذ أن ابتدأ ذلك أبو حامد الغزالي، فهو الآخر تطرّق للحديث عن المقولات في كتبه، كمعيار العلم ومقاصد الفلاسفة.

2- ترجمة المقولات إلى العربية وصحّتها

لقد تمّ ترجمة الكلمة اليونانية عبر وسائط، وقد رأينا أنّ حنين بن إسحاق ترجم الكتاب من الروميّة، وقد كانت النتيجة ترجمة الكلمة اليونانية بالمقولات، فما العلاقة بين الكلمتين؟ إنّ الفعل الذي اشتقت منه الكلمة الإغريقيّة هو "categorien"؛ يعني معنيين اثنين هما: "attribuer" و"accuser"⁽⁷⁾. وقد يطلّ من بعض أقوال الفلاسفة المعنى الثاني الذي هو الحمل، قال الفارابي: "سمّيت المقولات "مقولات"؛ لأنّ كلّ واحد منها اجتمع فيه إن كان مدلولاً عليه بلفظ، وكان محمولاً على شيء مشار إليه محسوس"⁽⁸⁾، ولا شكّ أنّ للقول صلة بالحمل، إلّا أنّ استعماله بإضافة "على" لا وجود له في العربيّة، وفيه من الإبهام الذي كان ينبغي تفاديه، أفلا يحتاج الأمر منّا إلى إعادة ترجمة الكلمة، واقتراح بديل أقرب إلى التعبير عن معنى الكلمات ومشتقاتها، وأجدد أن يبين سبيل الفكر في حقيقة الموضوع؟ قد رأينا أن فعل "categorien" يدلّ على معنى الفعل "accuser"، ومعنى الفعل "attribuer"⁽⁹⁾، وقد وجدنا فعلاً قريباً من الدلالة عليهما، هو فعل "حمل"، فالحمل هو "L'attribution" وبإضافة على، فيقال: "حمل على"، يقترب الفعل من الدلالة على معنى الفعل باليونانية، فقد يحمل على شخص بتهمة. وبهذا اندفعنا إلى اقتراح ترجمة الكلمة اليونانية التي ترجمت من قبل بالمقولات، ترجمتها بالمحمولات، واحدها محمولة، والتاء هنا "دالّة على المبالغة"⁽¹⁰⁾، وترجمة الكلمة بما اقترحناه لا يوقع في اللبس والخطأ اللذين يوقع فيهما استعمال كلمة

(7) انظر،

Ce qu'est et comment se détermine la question II, p 199.

(8) انظر فصول منتزعة، الصفحات 53 إلى 66.

(9) الذي اشتقت منه المقولة نسبة إلى الحمل بتهمة على شخص في المكان العام، انظر مقال لهيدجر

«Ce qu'est et comment se détermine la question II».

(10) انظر كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، 1211/3.

"مقولة"؛ فاللبس والخطأ ينتج كلاهما من استعمال "على" بالإضافة إلى القول، واستعمال "حمل على" يحافظ على بيان العبارة ويذكر بالمعنى الأوّل والأصليّ للكلمة.

3- صيغ المحمولات المترجمة وتعاريفها

لقد اخترنا أربعة نماذج للدراسة، وهي لفلاسفة أربع هم: الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد.

3-1 صيغ المحمولات

الفارابي	ابن سينا	الغزالي	ابن رشد
الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر
الكمّ	الكمّ	الكميّة	الكمّ
الكميّة	الكيف	الكميّة	الكميّة
الإضافة	الإضافة	الإضافة	الإضافة
متى	متى	متى	متى
أين	الأين	الأين	أين
الوضع	الوضع	الوضع	الوضع
له	الملك	الجدّة	له
أن ينفعل	الانفعال	أن ينفعل	ينفعل
أن يفعل	الفعل	أن يفعل	يفعل

لقد اختلف الفلاسفة المسلمون في استعمالهم للألفاظ الدالّة على المحمولات المحمولة على أشياء

الوجود، وكما يظهر من الجدول أعلاه، فقد تنوّعت صيغ هذه المحمولات؛ فمنها الاسم "الجوهر"، ومنها المصدر (الإضافة، الانفعال، الفعل، الملك، الجدّة)، ومنها ما يكاد يكون جملة؛ كـ (أن ينفعل، أن يفعل)،

ومنها شبه الجملة؛ كـ "له". ومن هذه الصيغ ما أخذ من أسماء الاستفهام المسؤولة عن ظهور المحمولة؛ كـ "كم"، و"أين". وقد أضيف إليها أحياناً التعريف، فأصبحت بهذا الشكل: "الكم"، و"الأين"، ولم ترد "كيف" إلا مُعرِّفة هكذا "الكيف".

ولقد أجمع الفلاسفة أحياناً على تسمية بعض المحمولات بالألفاظ نفسها؛ كـ "الجوهر"، و"الإضافة" و"الوضع"، و"متى"، واختلّفوا في تسمية بقيّة المحمولات؛ فقد يتفق اثنان أو ثلاثة على التسمية بالاسم نفسه، إلا أنّهم لا يجمعون على اسم واحد؛ فقد اتّفق الفارابي وابن سينا وابن رشد على استعمال لفظ "الكم"، وفارقهم الغزالي فاستعمل لفظ "الكميّة"، واتّفق الفارابي والغزالي وابن رشد على استعمال لفظ "الكيفيّة"، وفارقهم ابن سينا باستعمال لفظ "الكيف"، واتّفق الفارابي وابن رشد على استعمال "أين" و"له"، وابن سينا والغزالي على استعمال "الأين"، واتّفق الفارابي والغزالي على استعمال "أن يفعل" و"أن يفعل"، وتفرّد كلّ من ابن سينا وابن رشد في تسميتهما، فسماهما ابن سينا "الفعل" و"الانفعال"، وابن رشد "يفعل" و"ينفعل".

والملاحظة العامّة التي تلاحظ، هي اضطراب صرفيّة المحمولات عند هؤلاء الفلاسفة، وقد وضعنا سلماً يرتب قيمة الصيغ، تمهيداً لاقتراح لائحة محمولات تراعي هذا الترتيب، وهو كالتالي:

1. ترفع قيمة ما يكاد يكون جملة على الجملة المبتورة، فـ "أن يفعل" أعلى قيمة من "ينفعل"، وكذلك "أن يفعل" من "يفعل".
2. وترفع قيمة المصدر على ما يكاد يكون جملة؛ فترفع قيمة "الفعل" على "أن يفعل"، و"الانفعال" على "أن يفعل".
3. وترفع، من باب أولى، قيمة المصدر على شبه الجملة؛ فالملك أو الجدة أفضل من التعبير بـ "له".
4. وترفع قيمة المحمولة الإسميّة على المحمولة التي أُبقيت على صيغة اسم الاستفهام؛ فترفع قيمة كلّ من "الكيف" و"الأين" و"الكم" على حساب "كيف" و"أين" و"كم".

5. وترفع قيمة المحمولة المصدر على المحمولة الاسم؛ فترفع قيمة كلّ من "الكيفيّة"

و"الكميّة" على "الكيف" و"الكمّ".

ويحصل لنا من ترتيب تقييمنا هذا جدول نجّمع فيه كلّ ما يستحقّ التفضيل من صيغ المحمولات:

الجوهر، والكميّة، الكيفيّة، الإضافة، متى، الأين، الوضع، الملك أو الجدّة، الفعل، الانفعال.

ولما كان المصدر الصناعي هو الأقرب إلى التعبير عن وظيفة كلّ محمولة، وهي الدلالة على حمل معيّن على الوجود، أو معنى، أو كون من الأكوان، فحينما نقول كيفيّة الوجود، إنّما نعني كون الوجود كيفًا، وهذا بشرط استبدال لفظ الوجود بلفظ الموجود الذي يوهّم، لكونه اسمًا، بانفصال الوجود، وتعيّنه خارج الدهن، عكس الوجود، وهو مصدر، فهو ينبّه على البعد الذهني والمفهومي لأيّ تصوّر عن الوجود الحقيقيّ، اخترنا أن نصوغ كلّ المحمولات على هذه الصيغة، وأن نتخلّص من الألفاظ الدالّة على الاستفهام كـ "كيف"، و"متى"، و"أين"، وهذا جدول نقترح فيه الصيغة النهائيّة للمحمولات:

1. الجوهريّة.

2. المقداريّة.

3. الحالّيّة.

4. الإضافةيّة.

5. الزمانيّة.

6. المكانيّة.

7. الوضعيّة.

8. الملكيّة.

9. الفعليّة.

10. الانفعاليّة.

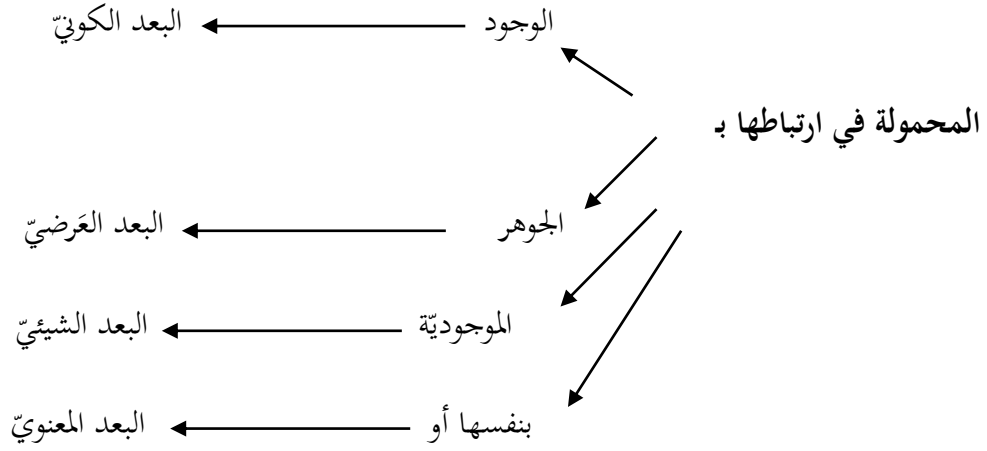
3-2 تعريف الفلاسفة للمحمولات

كما قمنا بعرض الصيغ التي صيغت بها المحمولات العشر عند الفلاسفة الأربعة، سنعرض تعريفات الفلاسفة لها مقارنين بينها، ومستنتجين الأبعاد التي اعتبرت في اختيارهم لصيغ تعريفية دون أخرى، وتعريفهم هذه معروضة كاملة قصد تسهيل الملاحظة والدراسة.

الفارابي	ابن سينا / الغزالي	ابن رشد
	الجوهر	
ما هو على موضوع لا في موضوع		

نجد في بداية كل تعريف استعمال نوع من أنواع الكلمات الدالة إما على الشئية، وإما على الكونية، وإما على العرضية، وإما على المعنوية، إذ يتم التنبه على البعد الشئى للمحمولات، أو البعد العرضي، أو البعد المعنوي، فباعتبار البعد الأول، يمكن ربط المحمولة بما يقع تحتها من الموجودات⁽¹⁵⁾ المتصفة بصفاتها؛ ففي محمولة "الكيف" تقع "الألوان" وهيئات النفس وغيرها من الأشياء، وتحت محمولة "الجوهر" تقع الموجودات الحاملة لصفة عدم الوجود في موضوع؛ ك: "إنسان"، و"حيوان"، و"شجر"، وباعتبار البعد الكوني، يتم تأكيد المعنى الوجودي للمحمولة؛ فهي نوع من أنواع الكون، فالإضافة مثلاً، هي كون الوجود إضافة، وقريب من هذا، البعد المعنوي؛ إذ يمكن النظر إلى المحمولة من زاوية كونها معنى نحمله على الأشياء، أو نسقطه عليها؛ أم البعد العرضي، فيتولد من ربط المحمولات التسع بالمحمولة الأساس، وهي "الجوهر". وفي ما يلي رسم يعرض جملة الأبعاد التي ذكرناها، وهي التي حتمت استعمال نوع من أنواع الكلمات عند الفلاسفة المستشهد بتعاريفهم:

(15) إنَّ تغيير صيغة المقولات، أو بالأحرى المحمولات، لن يؤثر في تصنيف الموجودات، بل بتصنيف المعاني التي نحملها على الوجود. وما نعتبره موجودات لن يكون سوى آثار للحمل المعنوي، وعلى كل حال، فإنَّ المشكل يعود إلى السؤال: ما الأصل؟ الاسم أم المصدر وهو مشكل نحوي عويص.



ولنعطِ مثلاً من التعريفات السابقة على كلِّ بعد من الأبعاد الأربعة:

المثال الأول: ما قاله الغزالي في تعريف "أن يفعل"، وتعريف "متى" و"أين" و"الجدّة"، وتعريف ابن سينا لكلِّ من "متى" و"أين" و"الملك" و"الوضع"، والفارابي لكلِّ من "الوضع".

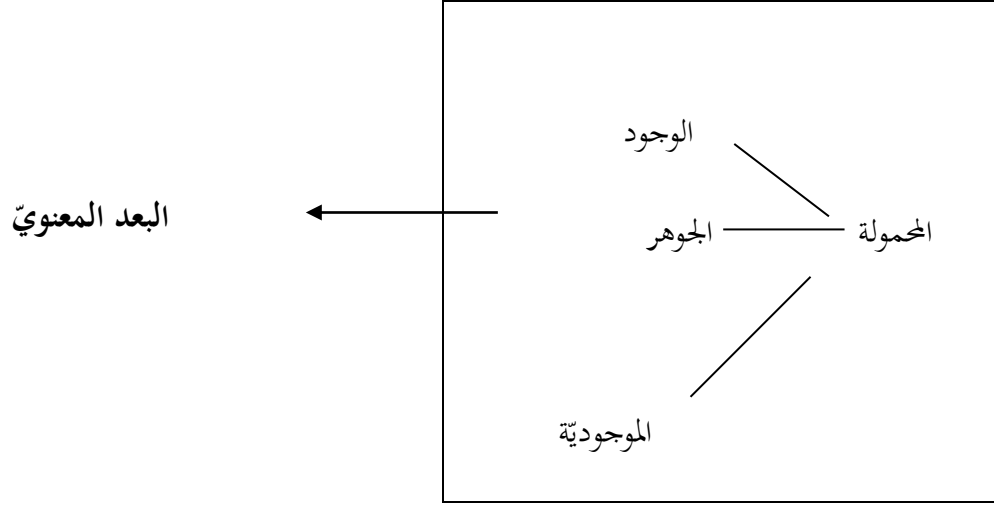
ومثال البعد الثاني: ما عرّف به الغزالي الكميّة والإضافة.

ومثال البعد الثالث: ما عرّف به الفارابي الجوهر والكيفيّة، وابن سينا "الجوهر" و"الكمّ" و"الكيف"، وابن رشد "الجوهر" و"الكيفيّة" و"الإضافة".

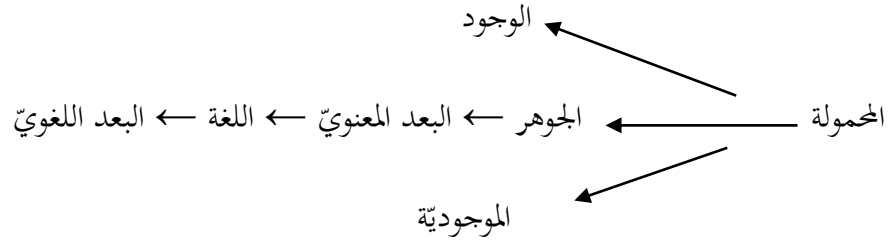
ومثال البعد الرابع: تعريف ابن سينا للإضافة، والغزالي للكيفيّة، وفي استعمال الفارابي وابن سينا لكلمة النسبة اقتراب من اعتبار ما عرّفوه من المحمولات معانٍ.

ما هو الترتيب الصحيح لقيمة الاعتبارات الأربعة؟ هل يمكن اعتبار المحمولات حقائق وجوديّة أو معنويّة أو شئويّة أو عرضيّة؟ نرى أنّ أوّل ما يجب أن يُعتبر البعد المعنوي؛ إذ ليست المحمولات سوى معانٍ نحملها على الموجودات، فاعتبار الوجود جوهرًا لا يعني سوى إسقاط معنى الجوهريّة على الوجود الذي نتصوّره، لا الوجود الحقيقي، وكذلك الأمر مع سائر المحمولات. أمّا البعد الكوني، فهو معتبر ثانيًا بسبب ما سبق أنّ ما افترضناه من أنّ الوجود له معانٍ، وبعده يمكن افتراض هذه المعاني أكوأناً تكاد تنفصل عن الوجود الذهني لتحي في وجود خارج الذهن. أمّا البعد العرضي، فيتولّد من التقسيم الذي قسّمنا به الوجود أوّل الأمر، فاعتبرناه جوهرًا وعرضًا. وعلى هذا ستكون العرضيّة معنى يقع في معنى آخر، هو الجوهريّة، فهذا

الاعتبار بعيد بدرجة ثلاثة عن الاعتبار. أمّا الاعتبار الشيعي، فهو أبعد الاعتبارات اعتبارًا، لما فيه من ادّعاء شيعيّة المعاني الإنسانيّة وانفصالها عن الأذهان، وفي ما يلي رسم يبيّن ترتيب قيمة الأبعاد الأربعة:



ولقد نسي الفلاسفة بعددًا آخر من الأبعاد التي يجب اعتبارها وهو البعد اللغويّ؛ فالارتباط الأوّل الحقيقيّ هو ارتباط الإنسان باللغة، وليس ارتباطه بالخارج، واللغة التي يتكلّمها الإنسان، ذات تاريخ، وحاملة لأشكال معيّنة تسبق ارتباطه بخارجها، وهذا رسم يبيّن اعتبار البعد اللغويّ:



خلاصة وخاتمة: حدود كليّة المقولات

بانسياقنا للحديث عن البعد اللغويّ، يسهل الحديث عن عدم ضرورة اختيار لائحة من المحمولات النهائية؛ ذلك أنّ أيّ اختيار يخفق في إصابة الحمل النهائيّ، كيف والحمل سيل لا يتوقّف، والكلمات والعبارات لها أعمار، فاستعمال كلمة يتأثر بدلالة شكلها الصرفيّ، ودلالاتها المعنويّة والتركيبية، سواء أكان هذا التركيب تركيبًا لها في جملة صغرى أم تركيبًا في جملة كبرى، واختيار كلمة تدلّ على حمل غير مأمون العاقبة؛

فالكلمة متأثرة بالجمل التي وردت فيها، ويتبع تعقّد المعاني وتداخلها طول أو قصر الزمن الذي استعملت فيه الكلمة؛ فكلّما كان الزمن طويلاً، كان التعقّد والتداخل كبيراً، فكيف يمكن تخلص كلمة من سيل المعاني التي حملت بها في عمر استعمالها، وكيف يمكن توحيد معناها وتمييزه، وهي لا تحمل معنى من المعاني إلا بنصرة بقيّة الكلمات التي جاورتها في زمن استعمالها، ولا تسلم المحمولات العليا التي يراد حصرها في عشر، أو في عدد آخر من هذا القانون، ولا يجد من أراد الاختيار والحصر أمامه إلا لغة سيقوم داخلها بالعمل، وسينتهي لا إلى المعاني الأساسية للوجود الحقيقيّ، بل إلى المعاني الأساسية، لما بلغت لغته أن تسمح به من وصف وجود متصوّر، فاللغات هي وجهات نظر مختلفة تتعاقب على وصف ما يسمح بوصفه دائماً دون توقّف الوجود الحقيقيّ، فينتج عن ذلك متصوّرات وأوصاف متعدّدة، وأكوان ذهنيّة مختلفة. وقد ظهرت بوضوح عدم ضرورة ما اختاره أرسطو من محمولات، حين ترجمت إلى العربيّة؛ فقد نتج عن اختلاف وجهات النظر اختلال في التعريف والتمثيل، فانتقض ما تمّ ادّعاؤه من عدم إمكانية اختزال محمولة في أخرى، وانتقض إمكان وصل ما كان عند الإغريق في محمولة معيّنة، بما يناسبها في المحمولة العربيّة، ذلك أنّ المحمولات أشكال أوصاف توصف بها أشياء الوجود، ولكن لا نعثر على الأشكال ذاتها في جميع اللغات.

المصادر والمراجع

1. ابن رشد، كتاب المقولات، دار الفكر اللبناني، ط1/1992.
2. ابن سينا، كتاب النجاة في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والإلهيّة، نقّحه وقَدّم له الدكتور ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1/1405هـ، 1985م.
3. ابن النديم، كتاب الفهرست، تحقيق رضا المازندراني، دار المسيرة، ط3/988.
4. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة.
5. الغزالي أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، (مصر: دار المعارف، 1961).
6. الفارابي أبو نصر، كتاب المقولات، (بيروت: دار المشرق، 1985).
7. الفارابي أبو نصر، فصول منتزعة، تحقيق فوزي متري نجار، دار المشرق/ 1971.

8. Heidegger Martin, questions II, traduit de l'allemand par François Fédier, Gallimard/ 1968.

9. Simplicius, Commentaire sur les catégories, Fascicule (1) traduction de PH Hoffman, E J Brill, Leiden/ 1990.